

"جوليو دوهيت": الإيطالي المُعتدّ وبدايات القوة الجوّية

عبد الجواد عمر



توطئة

يتتبع عبد الجواد عمر في هذا النص بدايات دخول القوة الجوية في تشكيلات الحروب، كما يتناول تنظير "جوليو دوهيت" لأهميتها وضرورة جعلها قسماً مُستقلاً عن أقسام الجيش الأخرى تتضمن أفراد ميزانية خاصة لها، ثم ينتقل للحديث عن ظروف الحرب التي عاشها "دوهيت" ودعته للإيمان العميق بالقوة الجوية وقدرتها على حسم الحرب وجعلها قصيرة. وتظهر الآراء بين مؤيّد ومعارضٍ لنتظيراته، لم تحسم الخلاف حول نقاط الضعف والقوة إلا حروباً فعلية خاضتها قوى عظمى مع حركات مقاومة تحرّرية متواضعة التسليح.

قبل أكثر من قرنٍ ظهرت أداةٌ جديدةٌ في ساحة المعركة على صورة طائرةٍ ميكانيكيةٍ مأهولة، استُخدمت في البداية كأداة استطلاعٍ ورصدٍ فعالة، خاصةً إذا ما قورنت بما سبقها من المناطيد المستديرة إلى الهواء الساخن في تحليقها فوق أرض المعركة. تقاطع دخول تلك الطائرة إلى أرض المعركة مع كتابات الضابط العسكري الإيطالي "جوليو دوهيت" التي برز فيها تخوفه وتوجُّسه من شمولية الحرب ورصده لتبدل أدواتها وشكلها؛ فبعد أن كانت الحروب تستند إلى الجيوش فقط أصبحت تُفهم المجتمع فيها برُمَّته، وهو ما أفصح عن بزوغ البُعد الثالث في الحرب. [1]

ليس من المُستغرب أن أوّل محاولةٍ كبيرةٍ لفهم وتفسير استخدامات وتوظيفات القوة الجوية ازدهرت في شبه الجزيرة الإيطالية. في الحقيقة كان الجيش الإيطاليّ أوّل من استخدم القوة الجوية في الحرب، بالتحديد على يد الملازم "جوليو جافوتي"، الذي ألقى بثلاثٍ قتالٍ يدويةٍ على مواقعٍ للجيش العثمانيّ في الصحراء الليبية. [2] أفتعت تجربة الجيش الإيطاليّ في ليبيا هيئته الأركان العامة بضرورة مواصلة تطوير قوتها الجوية، وعيّنت "جوليو دوهيت" -وكان يحمل رتبة رائد- قائداً للقوة الجوية في ذلك الوقت. [3] لقد ارتبط اسم "دوهيت" بشكلٍ وثيقٍ بتاريخ الفكر العسكريّ بسبب تجربته كقائدٍ للقوة الجوية الإيطالية، وكتاباته التي كان لها الأثر الكبير في ظهور مقارباتٍ معرفيةٍ جديدةٍ من خلال تناوله موضوع الطائرة الآلية وتأثيرها المُحتمل في الحروب.

إن الأفكار التي صاغها "دوهيت" وضعته بقوةٍ كواحدٍ من الشخصيات المركزية في تطوير النظريات المرتبطة بالقوة الجوية. وتشكل كتاباته جزءاً لا يتجزأ من البرامج الأكاديمية التي تتناول القوة الجوية وتاريخها، وتفتح دوماً بخلق جدلٍ واسع النطاق بين المختصين في هذا المجال. يقول "كلاوديو سيرج": "كان دوهيت في كثيرٍ من المواقع خاطئاً، ولكن غالباً ما تتم الإشارة له؛ [4] أي أنه بالرغم من الجهد الحثيث لتفكيك ونقد وإظهار الإشكاليات الأخلاقية والعسكرية في كتابات "دوهيت"، إلا أنك ما تتفكّ تجده حاضراً في النصوص المختلفة المتعلقة بتاريخ القوة الجوية وجدليّاتها. كان "دوهيت" متردداً من النتائج والعواقب التي سيخلفها استخدام الطائرة الميكانيكية في الحرب حتى أنه دعا إلى حظر القوة الجوية في أحد نصوصه الأولى، [5] لكنّه سرعان ما غير موقفه مقدّماً أطروحةً مطوّلة في أهمية القوة الجوية وضرورة استخدامها وما تعنيه من "تغييرٍ ثوريّ شاملٍ في الحرب". [6]

نشأة "دوهيت" الفكرية

غلب على شخصية "دوهيت" التعرّف وكثرة الاحتجاج على قيادة الجيش ومنافسيه وذكاءً حاداً عزّز من غروره وأدى في نهاية المطاف إلى سقوط حُظوته وتأثيره في الجيش الإيطاليّ. لعب هذا العيبُ التراجميّ في شخصية "دوهيت" دوراً كبيراً

في احتواء تأثيره على تطوّر القوة الجوّية في إيطاليا وجعل من مقولاته النظرية والإجرائية محطّ جدلٍ ورفضٍ واسعٍ في بُنى الجيش الراضية أصلاً للتغيير، خاصّة عندما طالب بجعل القوة الجوّية سلاحاً مُستقلاً، بما يعنيه ذلك من تخصيص ميزانياتٍ خاصّة لسلاح الجوّ. لم يقف الأمرُ عند الانتقاد الداخلي؛ فقد وصل سخطُ "دوهيت" على ما اعتبره فشلاً من قبل قيادة الجيش الإيطاليّ إلى درجةٍ دفعته باتجاه إرسال مذكرةٍ إلى مجلس الوزراء ينتقدُ فيها الجيش وقيادته، في مخالفةٍ صارخةٍ للبروتوكولات العامة أدّت إلى محاكمته العسكرية والزجّ به في السجن مدّة عام.

يقول "ميلينغر": "أدّت أساليبُ "دوهيت" في دفع قضية القوة الجوّية إلى تحقيق عكس المُراد تحقيقه من أهدافٍ". [7] لقد كان "دوهيت" مقاتلاً فكرياً شرساً لكنه لم يبنِ التحالفات، فضلّت كتبه ومسرحياته وروايته ومقالاته الحيّز الوحيد الذي استطاع فيه الانتقام من أعدائه. وقد يكون لأثر تلك الصراعات جانبٌ إيجابيٌّ بأن دفعت "دوهيت" نحو المزيد والكثير من الكتابة. فكما يُعلّل "سيرج" في مراجعته لحياة وأفكار "دوهيت" بقوله: "تقدّم كتاباته رؤيةً أو ربّما سيناريو أكثر من كونها نظريةً تقنيةً أو علميةً... إن كتابات "دوهيت" أقرب بكثيرٍ إلى الرؤية من المُخطّط". ودونما شكّ، تأثرت كتاباته بشكلٍ مباشرٍ بالمنافسات والاشتباكات المرتبطة غالباً بطبيعة شخصيته المُعتدّة والمغرورة. [8]

إلى جانب الدافع التنافسيّ الذي أثر على طبيعة المساهمة الفكرية لـ"دوهيت"، شكّلت التغيّرات التاريخية عاملاً ضاغطاً ومؤثراً على نصوصه. باختصارٍ، كان "دوهيت" نتاج سباقه الجغرافيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ؛ بحيث أن أفكاره نبعت من الخصوصية الجغرافية والسياسية لإيطاليا. مثلاً، لوحظ عند "دوهيت" نوعٌ من القصور والمحدودية في فهم المسارات التقنية العسكرية والتنبؤ بها؛ فهو لم يتوقع أبداً التطوّر في الآليات المُدرّعة. يعزو "ميلينغر" ذلك القصور إلى ارتباط المكننة عند "دوهيت" بالقيود الجغرافية والسياسية الخاصة ببلاده. [9] ذلك أن إيطاليا كشبه جزيرة- لطالما انهمكت بحماية طرق الملاحة والتجارة المرتبطة بالساحل الطويل الذي تمتلكه؛ بينما كانت جبال الألب حامياً حقيقياً لأيّ "توغلٍ" يأتي من جهة الشمال. لذا، لم تستثمر إيطاليا -كما غيرها- بالمركبات المدرّعة والآليات المُحصّنة، فيما رأت في القوّة الجوّية عنصراً فاعلاً في حماية سواحلها ونقاط ضعفها البرية الوحيدة؛ الحدود مع فرنسا.

بعيداً عن الخصوصية الإيطالية، مثّل عصرُ "دوهيت" عصرَ التغيّرات السريعة والكبرى؛ فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تصاعدت التطورات التقنية واتسعت طرق التواصل والتنقل، وصولاً إلى صعود الشيوعية في روسيا وتراجع دور ومركزية الإمبراطورية البريطانية. بحث "دوهيت" في التطورات والتحوّلات الحاصلة في الحرب وعن الإمكانيات والأفاق التي تفتحها القوّة الجوّية باعتبارها ثورةً حقيقيةً وغير مسبوقةٍ في الشؤون العسكرية، فكتب: "ما زلنا نعولُ على الحدود الضيقة للبصيرة البشرية، وبالرغم من ذلك يمكننا أن نؤكد، بكلّ يقينٍ، أن الحروب المستقبلية ستكون مختلفةً بشكلٍ جذريٍّ عمّا سبقها". [10]

لقد آمن "دوهيت" بأن الحرب تتجه نحو الكليّات؛ بمعنى أنّ دائرة أهدافها ستتجاوزُ حدود ضرب البنى العسكريّة لتصلَ إلى استهدافٍ متعمّدٍ وواضحٍ للحياة المدنيّة. كما يؤكد "أنّ الأشكال السائدة من التنظيم الاجتماعيّ أعطت الحرب طابعاً وطنياً كلياً... في نطاق قوّة البصيرة البشرية نرى الآن أن الحروب المستقبلية ستكون شاملةً في الطابع والنطاق". [11] سيُثبت التاريخ أنّ هذه النبوءة خاطئة؛ فالحربُ ستتخذُ أشكالاً متعددة، بما في ذلك أشكالاً محدودةً يوظف فيها الضعيفُ ما يمتلك في تحديّ القوّة العسكريّة الكبرى.

لا نستطيع لوم "دوهيت" كلياً على هذا الخطأ، فقد تكون مبالغته في نبوءاته نابعةً من الرعب الذي شهده في الحرب. ما زالت الحرب العالمية الأولى تشكّل في الأدبيّات العسكريّة متلازمةً لما سببته من رعبٍ على خطوط التماس بين الجيوش المتحاربة. في حين اتخذت الحربُ طابعاً كلياً من حيث مشاركة المجتمع برُمته في إنتاج أدوات الحرب أو في خوض غمارها على الخطوط الأمامية، لكنّها شهدت كذلك موت الآلاف لأجل النقص عدّة أمتارٍ أو لمنع التراجع عدّة أمتارٍ. كانت الحرب تُخاض من مواقع ثابتةٍ وامتزجت فيها الأجسادُ في خنادقٍ ضيقةٍ وطويلة، وكانت المعضلة الأساسية التي تواجه القائد العسكريّ تكمنُ في كيفية تخطي تلك الحدود الصارمة للمعركة التي اتخذت شكل الخندق في ذلك المنعطف التاريخي للحرب. إلى حدٍ بعيدٍ، تشكّلت أفكار "دوهيت" المؤيّدّة بشدّة للقوّة الجوية من تلك التجربة الأليمة في الحرب العالمية الأولى. فيما دفع الجمود والفشل في مختلف أشكال التكتيكات الهجومية العديد من واضعي الاستراتيجيات إلى الخروج باستنتاج مفاده أن القوّة العسكريّة -الأسلحة النارية وعدد الجنود والهياكل التنظيمية واللوجستية - ليست كافيةً لإنهاء المعارك وإتمام المهام العسكريّة بنجاح.]

[12]

أوضح "دوهيت" أن التقنيّة التي قدّمت للبشرية المدافع الرشاشة والغازات السامة وما إلى ذلك من أدواتٍ عسكريّةٍ أعطت ميزةً وأفضليّةً لحالة الدفاع في الحروب البرية. ويعلّل "ميلينغر" مقارنة "دوهيت" على النحو التالي: "على الرغم من اقتناعه بأنّ التكنولوجيا منحت منظومة الدفاع الأفضليّة في الحرب البرية، في حين تكمن المفارقة لديه أنّ التكنولوجيا أيضاً على شاكلة الطائرة ستُهيئها". [13] هذان الافتراضان الرئيسيان؛ أن الحرب الحديثة تأخذ الطابع الكلي وأن التكنولوجيا جعلت الحروب البرية والبحرية الهجومية غير مجدية، رسّخا الكثير من نظريات ونبوءات "دوهيت" حول استخدامات وتوظيفات القوّة الجوية. باختصار، قدّمت القوّة الجوية حلاً ومخرجاً لمتلازمة الخطوط الدفاعية التي يصعبُ اختراقها؛ ذلك أنها تستطيعُ تخطي الخنادق وخطوط المواجهة الثابتة، كما يُمكنها الضربُ في عمق فضاء العدو المدني والصناعي والعسكريّ.

هنا يكمنُ الطرح الرئيسيّ لـ "دوهيت"؛ بما أنّ القوات البرية والبحرية لا يمكنها إنهاء الحروب بسرعة، فإنّ استخدام القوّة الجوية كوسيلةٍ لتجاوز ساحة المعركة واستهداف البنية التحتية للعدوّ والمركز الصناعي وشبكات النقل والمواصلات والإمدادات، هي الطريقة الأكثر إنسانيةً وسرعةً في إنهاء الحروب. ويربط "دوهيت" تحقيق هذه النتائج السريعة بثلاثة قضايا مترابطة:

أولاً؛ يتطلّب الفوز السريع بالحرب تشكيل سلاح جوّ مُستقلّ يقوده طيارون أكفّاء ومُختصّون، فيقول في هذا الصدد: "تحقيق النصر على العدو... علينا تنظيم القوة الجوّية في إطار سلاح منفصل". إذ رأى "دوهيت" أنّ تنظيم القوة الجوّية تحت سلاح البحرية أو تحت قيادة القوة البرّية يعني توظيفها بما يخدم العمليّات الهجينة، لكنّ ذلك لن يُؤدّي إلى استغلالها وتوظيفها بالشكل الأنسب والأفضل في ضرب معنويّات العدو وتدمير قدرته على شنّ الحرب، أيّ في استهداف العمق الصناعيّ والمدنيّ.

ثانياً؛ من أجل الانتصار السريع في الحرب يجبُ أن تُبنى الاستراتيجية العسكرية على قاعدة التفوّق الجوّي من لحظة البداية. وقد حتّ "دوهيت" على تدمير "الأعشاش والبيض على الأرض"؛ [14] بمعنى أن يتمّ استهداف مكامن القوة الجوّية لدى العدو قبل أن تلو عن الأرض، فيتعدّر على الخصم إعادة استخدامها في سيرورة الحرب. [15]

أما أخيراً، وبعد تأمين السيطرة الكاملة على الجوّ، يحثّ "دوهيت" على الاستهداف المباشر لخمسٍ عناصرٍ أساسيّة من الأهداف الحيوية عند العدو، تتضمّن المراكز الصناعيّة وعُقد النقل المحوريّة والبنى التحتية الهامّة والكبرى (الكهرباء والماء والطاقة)، والمباني الكبيرة، وأخيراً وليس آخراً؛ المدنيّين. بالفعل، أكّد "دوهيت" في أكثر من موضعٍ على أنّ استهداف المدنيّين مهمٌ وضروريٌّ ويتخذ شكلاً من أشكال الأولوية:

"لا يُمكن أن يحدث الانهيار الكامل للبنية الاجتماعية إلا في بلدٍ يتعرّض لهذا النوع من القصف القاسي من الجوّ... لوضع حدٍّ للربح والمعاناة، سينهض الناس بأنفسهم ويطالبون بإنهاء الحرب...". عندها فقط يمكن كسب الحرب بشكلٍ فعّالٍ وسريعٍ وإنسانيٍّ وبدون الجمود الدمويّ التي أنتجت الحرب العالميّة الأولى. بهذا المعنى، تشكّل السيطرة التلقائيّة على الجوّ عند "دوهيت" العامل الأساسيّ في تحقيق النصر. [16]

قصور "دوهيت"

وضعت أفكار "دوهيت" الاستراتيجية العسكريّة في معضلةٍ من أكثر من زاويةٍ. فمن ناحيةٍ؛ ساهمت في إعطاء القوة الجوّية أهمّيّتها المُستقلة بعيداً عن دمجها مع الأسلحة الأخرى. ومن ناحيةٍ ثانيةٍ، اصطدمت تلك الأفكار مع العديد من المنظومات الأخلاقيّة والقانونية المنادية بفصل المدنيّ عن العسكريّ، والتي تمّ تعميدها في اتفاقيات "لاهاي" ولاحقاً في اتفاقيات "جنيف" حول أخلاقيات وقوانين الحرب. بالرغم ممّا سلف، إلا أنّ أدبيات "دوهيت" تُحيلنا بالتحديد إلى الكيفية التي تعاطت بها أطرافُ النزاع في الحرب العالميّة الثانية. وقد تكون القنابل التي حرقت طوكيو وديردن، أو حتى تلك التي أُلقيت على هيروشيما وناغازاكي أفضلَ مثالٍ على معنى القصف الاستراتيجيّ كما لم يتصوره "دوهيت" بنفسه، والذي كتب في مقالٍ قصيرٍ عشية الحرب العالميّة الأولى:

"لقد ذكرنا مراراً وتكراراً أن الحرب الحالية قد قلبت كل الأفكار العلمية التي سادت في السابق حول الحرب. حدث هذا بشكلٍ أساسيٍّ لأنّ الدراسات العلمية للحرب تركّز على التاريخ والماضي، بدلاً من مراعاة ظاهرة الحرب المتعلّقة بالظروف الحالية... فنّ الحرب في مجمله لا يمكن فصله عن السياق الاجتماعي الذي ستحدث فيه الحرب." [17]

إذاً، تتشكّل الحرب بالنسبة لـ"دوهيت" ظاهرةً معقّدة لا يمكن النظر إليها من زاويةٍ أخلاقيةٍ قاصرةٍ أو من زاويةٍ تاريخيةٍ بمعزلٍ عن البُعد الاجتماعيّ والمستقبليّ. والبُعد الأخير يتجلّى في إحالته الدائمة إلى فكرةٍ أساسيةٍ مفادها أنّ الحرب التي علينا أنّ نفكر فيها هي الحرب القادمة. وقد اتّسمت كتاباته بأنها غير تاريخيةٍ ومستندةٌ أساساً إلى التفكير المتعمّق في إشكاليّات المعركة الحاليةّ ومحاولات الخروج منها. لهذا نجد "دوهيت" مُبالغاً في ثقته بقدرة القصف الاستراتيجيِّ، كعاملٍ وحيدٍ، في تحقيق النصر على حساب الاستخدامات الهجينة القيّمة. [18] قد يغفرُ له كَوْنُ الحقبة التي كتب وعاش ومات فيها، لم تشهد حضوراً ودوراً ذا أهميةٍ للقوة الجوية، بل يمكن القول إنّ معظم مقترحات "دوهيت" لاستخدامات للقوة الجوية كانت ما زالت طورَ التطوير والاختبار. [19] لهذا السبب تحديداً أطلق "كلاوديو سيرج" على "دوهيت" لقب "نبيّ القوة الجوية" لما تضمّنته أفكاره من صياغةٍ مستقبليةٍ مُتخيّلةٍ بغالبيتها- حتى وإن كان لها أساسٌ ماديٌّ في الواقع. [20]

كانت أحد أهمّ افتراضات "دوهيت" مُحاجّته بأن جميع الحروب شاملةٌ وكلّية؛ فهي تشمل أنظمةً اجتماعيةً كاملةً، وقد نكون في القرن الواحد وعشرين أقرب إلى كلفة الحرب من بدايات القرن العشرين. صحيحٌ أن العديد من الدول توجّهت إلى إعادة هيكلة الجيوش بحيثُ أصبحت لا تعتمد على التجنيد الإجماليّ، لكنّ بالرغم من ذلك، يبدو أنّ الحرب تتخذ طوراً نفسياً وإعلامياً وسياسياً وحتى عسكرياً على نحوٍ أصبح فيه الجميع هدفاً أو جزءاً من العمليات العسكرية. وقد كان لدوهيت الفضلُ في الإضاءة على أهمية إنشاء سلاحٍ جويٍّ مستقلٍّ يُعنى في البُعد الثالث للحرب ويُستثمر في بناء استراتيجيّاتٍ حوله. بالفعل أصبحت دعوته لإنشاء قوةٍ جويةٍ مستقلةٍ داخل هيكلية الجيش الحديث أشبه بالفطرة السليمة. وقد نكون نحن في فلسطين والعالم العربيّ أفضل من يعرف أهمية الحفاظ على التفوّق في الجوّ وما يعينه من خساراتٍ فادحةٍ خلال العديد من الحروب، كانت أهمّها حربُ عام 1967 عندما نجح الكيان الصهيونيّ بإخراج القوة الجوية المصرية والسورية والأردنية من المعركة مُنزرةً بنكسةٍ لم نتعافى من نتائجها السياسية والاجتماعية حتى يومنا هذا.

لعلّ أكثر أفكاره إثارةً للجدل تلك التي ارتبطت بنجاعة وأهمية القصف الاستراتيجيِّ. في هذا السياق، كتب "ميلنغر" جدليته بشكلٍ يعطي تلخيصاً ملائماً لأهمّ ما قدمه "دوهيت"؛ فمن جهةٍ، انضوت مبادئ "دوهيت" الأساسية على تنبؤاتٍ عسكريةٍ دقيقةٍ، ومن ضمنها أنّ الجوّ سيصبح ساحةً عنيفةً وحاسمةً، وأن الدولة التي تتحكم في الجوّ ستتحكّم في الأرض أيضاً، وأن الطائرة ستحمل الحرب إلى جميع الشعوب في جميع الأماكن، وأن الآثار النفسية المترتبة على القصف الجويّ ستكون كبيرةً. [21] من جهةٍ أخرى، يخلّص "ميلنغر" إلى أنّ "دوهيت" أثبت خطأه في العديد من المجالات؛ مثل مدى الضرر المعنويّ للمدنيين من وراء القصف، حيثُ تتوفّر دلائلٌ عدّة على أنّ القصف يُنتج، في حالاتٍ كثيرةٍ، تضامناً اجتماعياً أوسع وقدرةً

على الاحتمال وإرادة أكبر على المواجهة. علاوةً على ذلك، بالغ "دوهيت" في تقدير أثر القصف الاستراتيجي وقدرته على إنتاج نهاية سريعة للحرب. [22]

كما وضع "دوهيت" تصوّراً مثالياً عندما كتب عن تأثير الغارات والقنابل بالحرب، مع إهمال واضح ليس فقط لقوات العدو وقدراتها وردودها المحتملة، ولكن أيضاً للعوامل التي يمكن أن تُعرق مثل هذه المهام. كما يضيف "سيرج" قوله: "في عالم "دوهيت" كلُّ شيءٍ مثالي؛ الطائرات تُسقط حمولتها بشكلٍ مثالي دون أخطاءٍ أو قاذفاتٍ أو تدخلٍ بين القوات، وجميع الأهداف ذات بنيةٍ موحّدة. [23]

انهارت هذه الرؤية المثالية على بوتقة الحرب الفعلية؛ فقد أثبتت التدابير الدفاعية - للرادارات، وصواريخ أرض-جو، ومكافحة الحرائق، والملاجئ والنفق... إلخ- قدرتها على تحييد القوة الجوية بل والتغلب عليها أحياناً. كما أن المعارك الجوية نشبت بين الطائرات العسكرية بشراسةٍ خلال الحرب العالمية الثانية، ما يثبت خطأ "دوهيت" بمكانٍ ما. خلال الحرب، قُتل أكثر من 80,000 شخصٍ من الطيارين والأفراد العاملين في سلاح الجو من القوات الجوية الملكية والقوات الجوية الأمريكية، وفُقدت المئات من القاذف والطائرات. [24]

تقدّم معظم تقييمات القصف الاستراتيجي وأثره على معنويات العدو نتائجٍ مُختلطة. على سبيل المثال، يقَدّم مسحُ القصف الاستراتيجي الأمريكي لعام 1945 نظرةً منفصلةً للقصف الاستراتيجي من حيث أثره على البنية الصناعية الألمانية في الحرب، ما أدّى بحسب التقييم الأمريكي إلى تهاوي الاقتصاد الألماني. في نفس الوقت، تقول نتائج المسح إن الأثر على معنويات المدنيين لم يكن بحجم التوقعات، وإن القصف الاستراتيجي لألمانيا لم يترك أثراً كبيراً على حالة التضامن الاجتماعي وإرادة المجتمع الألماني في القتال. قدّم مؤرّخون آخرون تقييماتٍ أكثر قتامةً من المسح الأمريكي، وكان من بين هؤلاء "ريتشارد هالون"، الذي ادّعى "أن القوة الجوية الاستراتيجية في الحرب العالمية الثانية لم تستطع الوفاء بوعود "دوهيت"... فقد كانت تفنقر إلى الاستدامة ودقة التدمير للقضاء التام على الوسائل التي يمتلكها العدو لشنّ الحرب، ولم تحطّم معنوياته. لكن على الرغم من أنها خيّبت الآمال، فهذا لا يعني أنها فشلت". [25]

العنصر الثاني الأكثر مركزيةً في مذهب "دوهيت" الجوي هو أهمية الاستحواذ على التفوق الجوي؛ إذ يدّعي أن أولئك القادرين على تحقيق التفوق الجوي الكامل أو القريب سيخرجون منتصرين في أيّ حربٍ. يقوم منطق هذا الادّعاء على قاعدة أنّ استهداف عمق العدو سيؤدّي إلى تقليل زمن الحرب وبالتالي إلى انتصارٍ سريعٍ وأكثر إنسانيةً.

على النقيض من هذا الطرح، تُثبت الشواهد أنّ الضعفاء حول العالم استطاعوا التغلب على ما مثّله القوة الجوية من سلاحٍ في يد القوى العسكرية الغربية الأكثر تفوقاً تقنياً، وتمكّنوا في أحيانٍ كثيرةٍ من تحييد أثرها على ساحة المعركة. في فيتنام، بُنيت

الاستراتيجية الأمريكية على عنصرين؛ أولهما البحث عن الأهداف وتدميرها (Search and Destroy Missions)، والثاني يتعلّق باستخدام القوة الجوية لفرض ثمن باهظٍ على فيتنام الشمالية وحلفائها من المقاتلين في الجنوب. تمتّعت الولايات المتحدة بالتفوق الجويّ شبه الكامل، ومع ذلك فشلت في تحقيق أهدافها السياسية في الحرب. في الواقع، أُطلقت ثلاث حملاتٍ جويّة ضد فيتنام؛ رولنج ثاندر (Rolling Thunder)، ولينباكر 1 (Linebacker 1)، ولينباكر 2 (Linebacker 2)، وتسمت بتصعيدٍ تدريجيٍّ حادٍّ ثم اتساع رقعة الاستهداف الأمريكي لفيتنام بناءً على تخوّفات أمريكيةٍ من تدخّل أوسع للاتحاد السوفيتي في حال صعّدت الحملات الجوية بشكلٍ سريع.

لكنّ بالرغم من ضراوة الاستهداف وحجمه الواسع إلا أنه لم يحقق المُراد، وقد يكون ساهم في إحراز نوعٍ من أنواع التعادل الاستراتيجي مع جبهة التحرير الوطنية الفيتنامية "الفيتكونغ". حتى عندما تمّ استخدام القوة الجوية في محاولةٍ لتعطيل خطوط الإمداد القادمة عبر شبكةٍ معقّدة من التضاريس الصلبة، والمعروفة مُجمّعةً باسم "طريق هو نشي مينه"، لم تنجح مهمّة سلاح الجوّ الأمريكي. وكما يؤكد "جورج هيرينج": "اعترفت التقديرات الأمريكية الرسمية بأنّ التسلّل زاد من حواليّ 35,000 جنديّ في عام 1965 إلى حواليّ 90,000 في عام 1967، حتى مع تزايد القصف". [26]

بعيداً عن فيتنام، قدّمت المقاومة في فلسطين ولبنان مثلاً واضحاً على كفيّة التغلّب على التفوق الجويّ الصهيوني واحتواء آثاره على أرض المعركة. يمكن القول إنّ المقاومة انشغلت على مدار الأعوام الثلاثين الماضية في إيجاد التصاميم الملائمة للتغلب على التفوق الجويّ الصهيونيّ والتي تضمّنت الأنفاق والمُغر، وحلولاً تقنيّةً لمعضلة الاستهداف المباشر لطواقم إطلاق الصواريخ من خلال إعادة تصميمها، بالإضافة إلى التعاطي الجادّ مع ما يمكن إنتاجه محلياً من "طائراتٍ" صغيرةٍ مكّنت الفلسطينيين من امتلاك سلاح جوٍّ للمرة الأولى، وإن لم يزل محدوداً.

خاتمة

يظلّ "جوليو دوهيت" شخصيةً مركزيّةً في أصول وتطور نظريّة القوة الجوية، خاصةً وأن أفكاره حملت رؤيةً مستقبليةً. ومن المؤكد أنه قدّم مجموعةً عامّةً من المبادئ التوجيهية لاستخدامات القوة الجوية ما زالت مهمّةً في الوقت الراهن. في الواقع، دفع التقدم التكنولوجي في أنظمة الطيران، والتطور على صعيد القصف الدقيق والقدرة على تمويه وإخفاء الطائرات مصحوباً مع تنامي قدرات الحرب الإلكترونية، إلى إعادة أفكاره نحو مركز النقاشات في أروقة البحث والإنتاج الفكري العسكري. كما أنّ الانتقال إلى أنظمة الليزر جعل من حلقات "دوهيت" في الاستهداف اليوم أكثرَ أهميّةً من الوقت السابق، بل يمكن القول إنّ العدو أصبح يمتلك القدرة على مُعايرة المجزرة من الجوّ، بحيث يكون الثمن مُتسقاً مع حالة الاشتباك وطبيعتها. أليس هذا ما حصل في الشجاعيّة وخزاعة؟ أليست عقيدة الضاحية، بما فيها من تهديدٍ بضرب واستهداف قرى

بأكملها في حال اندلعت الحرب مرةً أخرى، مُجَرِّدَ عودَةٍ إلى توجيهات "دوهيت"؟ نعم نحن نعيش في عالمٍ ساهم "دوهيت" في تخيلِهِ.

الهوامش

- [1] Keaney, Thomas. (2014). "Giliuo Dohet and His Critics". H-Net Reviews in the Humanities and Social Sciences. P. 1.
- [2] Dundey, Robert S., (2011). "Douhet". Air Force Magazine. P. 64 [URL](#)
- [3] Ibid
- [4] Serge, Claudio G. (1992). "Giliuo Douhet: Strategist, Theorist, Prophet?". Journal of Strategic Studies. 15:3, 351-366. Page 351.
- [5] Mellinger, Philip. (1997). The Paths of Heaven: The Evolution of Airpower Theory. Air University Press.
- [6] qtd in Hippler, Thomas. Bombing the People (Cambridge Military Histories) (p. 116). Cambridge University Press. Kindle Edition.
- [7] Serge, Claudio G. (1992). P. 355.
- [8] Ibid. p.353
- [9] Mellinger, Philip. (1997). P. 2.
- [10] Douhet, Giliuo. (1921). Command of the Air. Pickles Partners Publishing. Kindle Edition.
- [11] Ibid, p.p 3-4.
- [12] Hippler, Thomas. Bombing the People (Cambridge Military Histories) (p. 255). Cambridge University Press. Kindle Edition.
- [13] Mellinger, Philip. (1997). P. 9
- [14] ibid
- [15] Mets, David R. (1998). P. 11.
- [16] Douhet, Giliuo. (1921). Command of the Air. Pickles Partners Publishing. Kindle Edition.
- [17] Qtd in Hippler, Thomas. Bombing the People (Cambridge Military Histories) (p. 75)
- [18] Hippler, Thomas. P. 76.
- [19] ibid
- [20] Serge, Claudio G. (1992). P. 355.
- [21] Mellinger, Philip. (1997). P. xiv
- [22] Dundey, Robert S., (2011). P. 4
- [23] Serge, Claudio G. (1992). P. 357.
- [24] Dundey, Robert S., (2011). P. 4
- [25] Hallion, Richard. Storm Over Iraq: Air Power and the Gulf War (Kindle Locations 366-368). Smithsonian. Kindle Edition.
- [26] Herring, George (2013-09-04). America's Longest War: The United States and Vietnam, 1950-1975 (Page 184).



Keaney, Thomas. (2014). "Giliuo Dohet and His Critics". H-Net Reviews in the Humanities and Social Sciences. P. 1.

Dundey, Robert S., (2011). "Douhet". Air Force Magazine. P. 64, [URL](#).

Serge, Claudio G. (1992). "Giliuo Douhet: Strategist, Theorist, Prophet?". Journal of Strategic Studies. 15:3, 351-366. Page 351.

Hippler, Thomas. Bombing the People (Cambridge Military Histories) (p. 116). Cambridge University Press. Kindle Edition.

Douhet, Giliuo. (1921). Command of the Air. Pickles Partners Publishing. Kindle Edition.

Hallion, Richard. Storm Over Iraq: Air Power and the Gulf War (Kindle Locations 366-368). Smithsonian. Kindle Edition.

Herring, George (2013-09-04). America's Longest War: The United States and Vietnam, 1950-1975 (Page 184).

Mellinger, Philip. (1997). The Paths of Heaven: The Evolution of Airpower Theory. Air University Press.

Mets, David R. (1998). The Air Campaign: John Waarden and Classical Airpower Theorists. Air University Press. p.11

